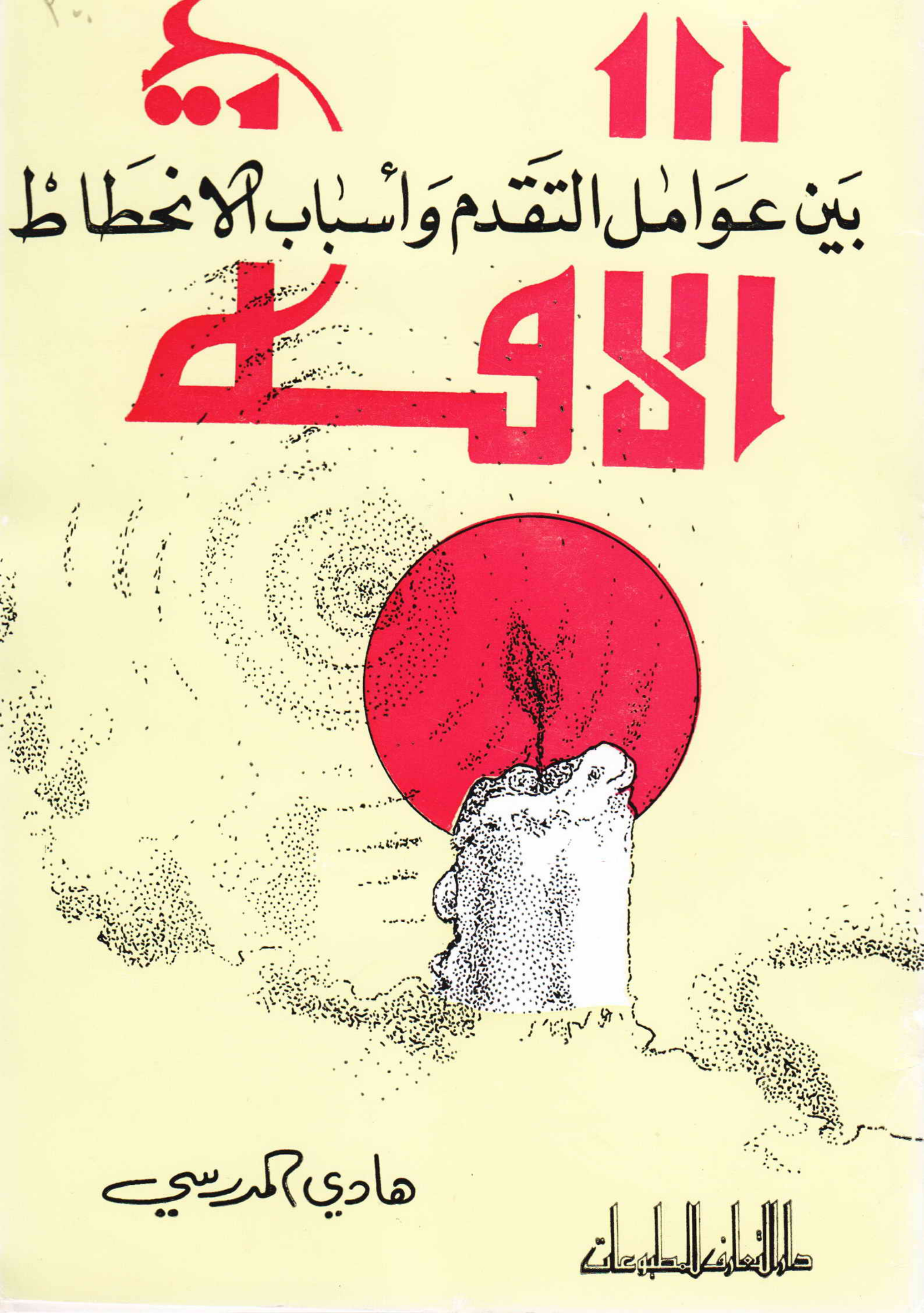
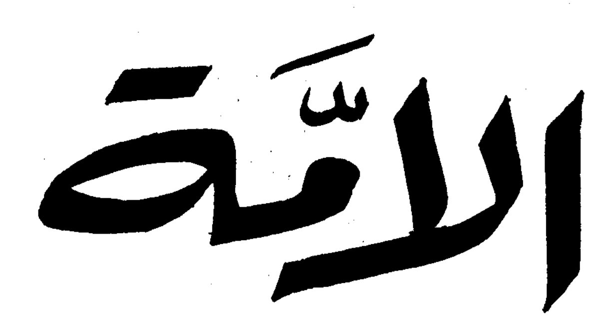

بين عوامل التقدم وأسباب الانحطاط
هادي المدرسي
دار التعارف للمطبوعات



الامة بين عوامل التقدم

هادي المدرسي



بين عوامل التقدم وأسباب الانحطاط

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الرحمن الرحيم

مالك يوم الدين

اياك نعبد واياك نستعين

اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين انعمت عليهم

غير المغضوب عليهم

ولا الضالين



منذ اكثر من نصف قرن ، ونحن نبحث عن وجودنا الضائع ، في هذا العصر الميكانيكي المهووس !

كنا تحت الاحتلال ·· فقلنا ان هذا الوحش الذي ينبطح على صدرنا ، هو الذي سرق منا وجودنا ، واننا اذا تخلصنا منه فسرعان ما نسترد ما ضيعناه ··

فكافحنا ، وقاتلنا ، وخضنا أعنف الصراعات الدموية ، وقدمنا الوان الضحايا ، حتى خرجنا من تحت الاحتلال ··

ولكننا وسط أهازيج الفرح ورقصات الدبكة في حفلات الاستقلال ، كلها التفتنا يمنة ويسرة لم نجد اثرا لوجودنا الذي ضيعناه ··

كيف حكم علينا بالضياع ، والنفي ، والتشريد ؟

وكيف سرنا الضائع الذي لا يهتدي ، والشراع الذي لا يريد الوصول ؟

من نحن ؟

كيف نحن ؟

اين نحن ؟

لمن نعمل ؟

لماذا نعمل ؟

اسئلة تلح على ضمائرنا منذ نصف قرن أو يزيد ونحن نلهث وراء الجواب : تقولبنا بالف قالب ، وصعدنا الف تـل ونزلنا الف منحدر . ولكن لم نحصل على الجواب ..

بعضنا اتجه ، تحت مطارق الجوع ، والضياع،والرغبة في الخلاص ، نحو اليسار ، فامن ، بشكـل أعمى ، بكــل شعاراته ، ومبادئه ، وصار يساريا مكعبا مسدسا ، متعصبا أكثر من كل اقطاب اليسار في العالم ..

ولكن بلا جدوى ..!

وبعضنا الاخر اتجه ، افقس الاسباب ، نحو اليمين ، فامن بالغرب : شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وركع امام منجزاته وسجد امام اغراءاته ، وتمرغ في التراب امام لذاته ..

ولكن بلا جدوى .!

اليسار ·· اليمين ·· اليمن ·· اليسار ·

حلقات مفرغة ، تدور فيها شعوبنا ، ودولنا اليمينيون صاروا يساريين ، واليساريون صاروا يمينيين ··

وتغيرت معادلات · وبقيت الاسئلة هي ذاتها لم تراوح ضمائرنا :

من نحن ؟

كيف نحن ؟

اين نحن ؟

لمن نعمل ؟

لماذا نعمل ؟

بعضنا تعب من البحث ، فالقى حمله على الارض واستراح ··

وبعضنا كفر بكل شيء ، بامته ومبادئه وأخوته · وهاجر الى الدول الاخرى (١) ·

---

(١) يقول احصاء شبه رسمي ، انه هاجر الى اوروبا وأميركا ، خلال السنوات العشر الاخيرة فقط ١٧٠ ـ الف دماغ مفكر من العيار الثقيل !

ولولا وجود اسرائيل لاغلق هذا البحث الى الابد .

ان اسرائيل هي « مرآة » لمساوئنا . وهي شارة ادانة

لقد جاءت اسرائيل ، في صورة ضيف ، ثم تحـــول الضيف الى سيف ، ثم تحول السيف الى مطرقة ، ثم الـــى مخدة ، ثم الى مسمار ، ثم الى منشار ، ثم الى حبل للغسيل نشرنا عليه كل فضائحنا ، ومآسينا ، وسقوطنا ، وضعفنا ، وجبننا ، وعجزنا ، وظلمنا ، وظلماتنا ، وكفرنا ، والحادنا .

فاذا بامة العرب ، مائة وعشرون مليون عربي ، و٢٢ ــ دولة ذات سيادة ، رغم ثرواتهم ، وعدالة قضيتهم ، اعجـز من ان يمنعوا اقامة مستعمرات في اراضيهم !

واذا بامة الاسلام « شر » امة اخرجت للناس ، تأمر بالمنكر ، وتلعن المعروف !

أي منكر بقي لم نرتكبه ، سواء على مستوى الافراد ، ام الجماعات ؟

وأي معروف بقي لم نقم باغتياله على رؤوس الاشهاد لماذا السقوط ؟ لماذا الانهيار ؟



ان للتقدم عوامل ··

وان للانهيار اسبابا ··

وان للضياع موجبات ··

ولنا في تاريخنا نور يهدي الـى جذور المشاكـل ··
والاجابة على تلك الاسئلة ··

ولهذا كان هذا الكراس ·

٦ ـ ٦ ـ ١٩٧٧

هادي



١ ـ نبذل ... ولنا التحقير

يسافر العرب كل عام في الصيف الى ربــوع اوروبا للراحة والاستجمام ·· وهناك يصرفون عشرات الملايين من الدولارات على الأيجارات ومتطلبات التسلية واللهو ، ويحاول الكثيرون منهم ان يظهروا بشكــل « الاوروبيين » أنفسهم ، سواء في نوعية المــلابس التي يرتدونهــا ، أم في العــادات والتقاليد ·· حتى لا تكاد تميز هنالك بين العربي و لانجليزي في لندن مثلا الا من خلال « اللهجة » أو طريقة الاكل ، أونشر الغسيل على الحبال في الشرفات او البصاق على الارض !

ورغم ان رحلة العرب خلال الصيف إلى أوروبا « تنفع» أوروبا كثيرا ، وتدر عليها مبلغا لا بأس به مــن الدولارات تنعش عندها الكثير من المرافق ··

رغم ذلك · فان العرب لا يجدون الترحيب المطلوب · بل ويجدون في مقابل ذلك الكثير من الاهــانــات · وســوء

المعاملة · وحملات الصحف [illegible] (١) ·

يحدث هذا في وقت يعيش فيه العرب في عز المجـــد الدنيوي · النابع من ابـار البترول ··

فالعرب الاثرياء يجدون الادانة من الغرب ··

---

(١) فمثلا : جريدة ـ « الصن » ـ البريطانية كتبـت تقول في عددها الصادر يوم الخميس ١٤ اغسطس ١٩٧٧ ـ تحت عنوان ـ « العرب لا ينفقون في لندن فقـط ولكنهـــم يسرقون ايضا ! » ·

« ان العرب بدأوا يلعبون دورا اخر في المجتمع وهو دور السرقات التي استفحلت في الاونـة الاخيرة وتحولت الى ظاهرة تستحق الدرس والتدقيق » ·

ثم تحدثت الجريدة عن قضيتين بسيطتين سرق فـــي احداهما شاب عربي قميصا وفاكهة بمبلـــغ ٨ ـ جنيهـات وغرمته المحكمة ٤٠٠ ـ جنيه ، وسرقت في الثانية سيـدة عربية ثيابا بقيمة ٧٨ ـ جنيه ، وغرمتها المحكمة ١٠٠٠ ـ جنية وتضخم القضية ، وتنكت على العرب ، وتهـزأ بهـــم جميعا ، رغم ان حوادث السرقات في بريطانيـا تتجـــاوز الالف سرقة اسبوعيا ·· ورغم ان عدد المصطافين العـرب في صيف ـ ١٩٧٧ ـ يتجاوز الثمانمئة الف سائح عربي في بريطانيا وحسب التقديرات فان المبلغ الذي صرفوه هو ٨٥٠ ـ مليون جنية استرليني !

بينما أبائهم · هاجروا الى أوروبا ، عبر اسبانيا ، و « صيفوا » ـ بالتشديد ـ في ربوعها الجميلة قبل الف عام وكانوا فقراء ·· لا يملكون غير بعض الجمال ومقدارا من الكتب ·· ومع ذلك فقد وجدوا الاحترام ·· بـل وأصبحوا في تلك البلاد لفترة طويلة ··

فماذا كان عندهم في ذلك الوقت ؟·

وماذا يفقدون الان ؟

والجواب :

لقد حمل العرب وأقصدكل مسلم امن بالقران،فاصبحت اللغة العربية لغة عقيدته ومبدئه ـ الى تلك البلاد : الاسلام ، ومعه مبادىء الخير · والتعاون · والثقة ، والعطاء ، والكرم والصدق ، والاخلاص ، والفهم ، والاخلاق ·

فاستقبلهم الناس هنالك بفطرتهم الاولية التي تعشـق عادة هذه المباديء !

اما الان : فان العرب يحملون الى اوروبا « المـــال » فقط ومعه الشهوات ، والرغبات والبحث عن الملـــذات ، أو قضايا التجارة ومبادىء المصلحة والاثرة وما شابه ذلك ··

ان العرب كانوا يتواجدون عند بيوت الفقراء ، وفـــي

سوح الجهاد ضد الجهل ، والخرافة ، والظلم ، والاستعباد·

واثارهم شاهدة عليهم ··

هكذا كانوا ··

أما اليوم ، فانهم يتواجدون اين ؟

لقد كتب مراسل احدى الصحف عن العرب في لندن في هذا الصيف ١٩٧٧ قائلا :

نهارا في « أكسفورد ستريت » او « ريجينت ستريت » او « نايتسبردج » او « كينغرود » يشترون بعض اسواقها ولا يفاصلون ·

وليلا في « البيكاديللي » و « البارك لاين » و « الكيرزون ستريت » وال « بيركلي سكوير » يغتالون نور عيونهم ولا يسألون ·

وبن الليل والنهار حكايات طويلة وقصص نادرة مفروشة برمل اصفر وعقال ابيض ودينار يشع اجلالا وهيبة·

لم تبق زاوية واحدة من زوايا وازقة لندن الا ومر عليها العرب ·

نوادي القمار غيرت في الوانها واستقبلتهم كمــــا لم يستقبلهم احد من قبل ، وفتحت لهم مجالات واسعة لتــدور كرة « الروليت » غير عادة الدوران ، وتقلب اوراق « البلاك جاك » غير عادة ما تقلب ، وتفتح تسعــة « البانتو بانكو » على بساط من ذهب ٠

المهم ان يدفعوا !

هذا لسان حال الجميع ، وهذا الوحيد القادر علـى تركيز المتغيرات الجديدة :

حمامات « السونا والمساج » صارت ادفا !

أفلام الحب المستعار صارت اقوى !

صغار « الديسكوهات » صاروا أكثر !

شقروات « التوتلس » هبطن الى الادراك !

ومواقف الليل في « البارك لاين » صارت تضم فـي ليالي الجهاد صفوف ناس طويلة ذكرت باضراب المخــابز والسعي القاتل الى لقمة خبز تواجه الموت ٠

واحد اختصر كل هذه ، وتجاوز عمليـات التفـكيـر والاسترسال والرفع والنتر والخطف وابتكر اسلوب عمـل

جديد يكفل لدكان « الشابليز » الذي يديره النجاح المطلوب •

على عتبة الدرج النازل الى تحت موظف عربي ينوب عنه بالقول :

« سيدي ، في المكان شقروات وفتيات جميلات وانت حر في اختيار اي واحدة منهن لتذهب معك الى اي مكان اردت ، ويكون من الافضل لو تشرب كأس شمبانيا عندنا قبل الرحيل»

هكذا فقط ؟

ـ نعم هكذا فقط •••!

هكذا اصبح العرب •• فهم اذن تغيروا •• في الوقت الذي تغيرت فيه فطرة الناس هناك ايضا !

فلا العرب يملكون النور الذي كانوا يحملونه الـــى اوروبا •• ولا الاوروبيون يملكون تلك الفطرة السليمة •• التي كانت عندهم سابقا ••





٢ ـ العرب يحكمون سويسرا

كلنا سمع عن اسبانيا .. وعن تاريخنا فيها ..

ولكن من منا سمع عن تاريخنا في سويسرا ؟..

ان عشرات المئات من العرب يفدون سنويا الى سويسرا ليتمتعوا بزيارتها حيث حياها الله بمناظر خلابة ، ولكن قلما تخطر ببالهم حقيقة تاريخية ، وهي ان اسلافهم المسلمين فتحوا هذه البلاد قبل اكثر من الف عام ، وحكموها زهاء ثلثي قرن ؟.

فقد حرر المسلمون في عام ٩٢١ ـ جبل « سان بونارد » الكبير ـ وهو جبل شاهق على ارتفاع ٢٫٣٧٣ مترا عن سطح البحر وعندما سمع « الكونت هوج » بوجود المسلمين هناك دعاهم الى بلاده من أجل مقاومة الغزاة ، ومن هناك واصل المسلمون زحفهم وحرروا مقاطعة « الجزيرون » وهي اكبر المقاطعات الفرنسية ومنها واصلوا الزحف حيث امتلكوا

جبل « السميلون » الشهير الذي يفصل بين سويسرا وايطاليا، ويبلغ ارتفاعه ٢٠٠٩ امتار فوق سطح البحر • ولا يزال اسم احدى جهاته هو «الغامي» وهو – على ما يبدو – تحريف للكلمة العربية « الجباية » حيث كانت مركزا لتحصيل المكوس من المسافرين المجتازين لمر هذا الجبل •

ووصل المسلمون الى شواطىء بحيرة « ليمان » التي تقع عليها مدينة « جنيف » لكنهم لم يقيموا في جنيف وانما نزلوا في قرية اسمها « سان جوليان » بفرنسا على الحدود بين فرنسا وجنيف، كما اقاموا على جبل صغير شهير على الحدود ايضا يطل على جنيف واسمه جبل « الساكيف » ومن بين صخوره صخرة اسمها « حجر الشرقيين » لان المسلمين استعملوها كنقطة مراقبة !

ولا تزال في جنيف وبازل عائلات تسمى « سارازن » او « سرابين » اي « الشرقيين » حيث انهم من سلالات المسلمين •

فماذا حملوا المسلمون الى هذه البلاد ؟

لقد حملوا اليهم العلم ، والصناعة ، وعادات الاسلام الخيرة ، ومبادىء التعاون ، والصدق ، والامانة ، والاخلاق الكريمة •

ثم شرعوا هنالك يعملون في فلاحة الارض والتجارة

والحرف اليدوية، وادخلوا اليها نظام «محاكم المياه» التي كانوا قد ادخلوها من قبل في الانيلس ، فشرعوا احكاما فرعية لتوزيع مياه الري بالعدل والقضاء بالحق بين المتنازعين عليها من المزارعين ٠

هذا ٠٠ وقد حكم المسلمون سويسرا زهاء ثلاثين عاما قبل ان يرحلوا عنها في عام ٩٨٠ ـ



ترى : اي حلم دغدغ المسلمين الاولين فحمكهم الى السفر من الجزيرة العربية الى ربوع اوروبا ؟

وما هي العوامل الحقيقية وراء تلك الروح المقدامة ؟

ان ذلك العربي الذي لم يكن يتجاوز في طموحه جدران العشيش الذي تركه له أبائه وأجداده في مكة ، أو يثرب او نجران ، وكان ينام الليل وهو يخاف ان يتخطفه الناس من حوله ، كما يخاف صغار العصافير من الباز والعقاب ، كيف تحول الى حامل بيرق العدل والحرية ، وبدأ يتجول في بلاد الله الواسعة يزرع في الناس حب العدالة والعمل ، ومقاومة الطغيان ، فاسقط في طريقه كل « الاصنام » التي كانت هنا وهناك ـ سواء الاصنام الحجرية والخرافات ، أم أصنام السلاطين والطغاة ، أم اصنام المستغلين ـ ؟؟ وأي سر توصل

اليه حتى أصبح له طموح يتجاوز الدنيا بما فيها ، وفرض احترامه على الناس في كل ارض ، رغم انه لم يكن يحمل معه غير قلب مؤمن وكتاب فيه ايات محكمات ؟

في ذلك اليوم كان المسلمون فقراء - بمقاييس الدينار والدرهم - ولكنهم كانوا اغنياء - بمقاييس الاخلاق والانسانية - فعشقهم الناس • وطلبوهم • وتمنوا لهم طيب الاقامة عندهم •

اما الان فهم اغنياء - بمقاييس الدينار والدرهم - ولكنهم فقراء - بمقياس الالتزام الصادق بالحق والعدل - ولذلك فان الناس يحترمون « دينارهم » ودرهمهم » فقط •

★ ★ ★



٣ ـ كيف حققنا الوثبة؟

والسؤال الان هو :

كيف حقق اجدادنا تلك الوثبـة العملاقـة ، والتغيير العريض في حياتهم ، وما هي الاسباب الحقيقية ؟

بما ان اي تغيير « خارجي » لا يمكن ان يحدث من دون ان يحدث تغيير « نفسي » في القائمين به « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فان علينا ان نبحث عـن التغييرات النفسية داخل بنية اولئك الرجال الذين أصبحوا بناة حضارات ، وحملة هداية ...

وهذه التغييرات هي كالتالي :

واحد ـ تغيير في الفهم ..

لا شك ان معرفة الانسان ومقدار وعيه وفهمه ، تسهم في طريقة حياته . وأهدافه وتطلعاته .. فالذي لا يعـرف

الا حدود قريته لن تكون له تطلعات ، ومن ثم لن تكون لـــه أهداف عالية أما الذي يفهم الحياة · وينظر اليها بمنظـــار كوني ، ويفهم التاريخ وينظر اليه نظرة بعيدة · فان تطلعاته ستكون بحجم فهمه هذا ·

ان العرب كانوا من النوع الاول حينما هبطت عليهم رسالة الله ودفعتهم الى معرفة الكون · وفهم التاريخ ، ومن خلال طرح القران لقضايا كبيرة مثل : قضية الارض · وكيف بدأ خلقها · وقضية الانسان · وما يتنازعه · وقضية التاريخ وصراعاته في غابر الزمن فتح عيونهم ·

من هنا فان الاسلام فتح أفاقا واسعة أمامهم فاصبـح الرجـل ، الذي لم تكن دائرة تفكيره تتعـدى حدود بلدتـه وتجارته ـ على اكثر التقادير ـ يفكر في الكون ، في الانسان في الناس ، في عوامل السعادة ، في أسباب الشقاء ، فـي التاريخ ، في الحرب ، في السلم ، في الايمان ، في المسؤولية

واذا نظرنا الى اسماء السور في القران فسنجد انها تتحدث عن :

التاريخ مثل : « ال عمران » و « يونس » و « هـود » و « يـوسف » و « ابراهيـم » و « الكهـف » و « مـريم » و « الانبيـــاء » و « القصص » و « الـروم » و « لقمـان » و « سبأ » و « نوح » ·

مظاهر الطبيعة • مثل «الرعد و «النور» و «الدخان» و «النجم» و «الحديد» و «التكوير» و «الانفطار» و «البروج» و «الفجر» و «الشمس» و «والليل» و «الضحى» و «التين» و الزلزلة» و «العصر» و «الفيل» و «والجن» و «الانسان» و «البقرة و « العنكبوت » و « القمر » و « الدخان » •

الاخلاق • **مثل** : «التوبة» و «الممتحنة» و «المجادلة» و « المطففين » و « الهمزة » و « الماعون » و « الكافرون » و «الاخلاص» و «عبس» •

★ ★ ★

الاقتصاد • مثل : سورة «الانفال» و «الزكاة» مرة • « المائدة » و « الانعام » **اصناف وقضايا الناس مثل** « النساء » و « الاحزاب » و « المؤمنون » و « الصف » و « المنافقون » و « الشورى » و « الفتح » و « الطلاق » و « التحريم » و « البلد » و « التكاثر » و « النصر » و « الناس » •

قضايا الاخرة • مثل « الاعراف » و « الجاثية » و « الواقعة » و « الحشر » و « التغابن » و « الحاقه » و « القيامة » و « النبأ » و « الغاشية » و « القارعة » و « النازعات » و « القدر » •

العبادات • مثل « الحج » و « السجدة » •

وواضح ان اسم السورة · مثابة العنوان لما فيها ·
وهكذا نجد ان افاقا جديدة انفتحت امام الناس بالقران ·
واصبحت دائرة تفكيرهم أوسع من الدنيا كلها· حيث اتسعت
لتشمل الشمس ، والقمر ، والليل ، والفجر ، وتتعدى ذلك
الى المستقبل والاخرة ·· مرورا بكل مايهم الانسان ·



اثنان تغيير في الشعور والسلوك ··

فالذي كان لا يهمه من أمر الدنيا وما فيها · شيء سوى
ما يرتبط تبطنه وفرجه ، اصبح بالاسلام · يشعر بالمسئولية
عن كل الناس « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » بل بدأ
ليشعر بالمسئولية حتى عن الحيوانات والاراضي · يقول
الامام علي «ع» واعلموا انكم مسؤولون حتى عن بقاع
الارض وبهائمها » ـ نهج البلاغة ـ ·

وهذا الشعور بالمسئولية ، هو الذي كان يدفع المسلمين
الاولين الى تحمل الصعاب من أجل مظلوم في اخر الدنيا ·
او محروم في كوخ منسي في الصحراء ··

كان منطقهم منطق القران الذي يعتبر الاجيال خلائف
في الارض ·وهي تأتي الى الدنيا لكي تتحمل مسؤلياتها ثم
تعد على ربها لتحصل على جزئها ، فمن تحمل مسؤوليته

افضد • وعانى من أجل أداء واجباته اكثر ، كــان ادى الله أيسر حسابا واكثر اجرا ••

افلا يقول القران : «ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجائتهم رسلهم بالبينات ، وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض مــن بعدهم لننظر كيف تعملون » ـ يونس ١٤ـ

ويقول : « الــم أحسب الناس ان يتركا ، ان يقولوا امنا ، وهم لا يفتنون ؟

« ولقد فتنا الذيــن مــن قبلهم • فليعلمن الله الذيــن صدقوا ، وليعلمن الكاذبــين • ام حسب الذيــن يعملون السيئات ان يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون ! « مــن كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لات • وهو السميع العليــم • ومــن جاهد فانما يجاهد لنفسه • ان الله لغني عن العالمين •والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئــاتهم ولنجزينهم أحسن الذين كانوا يعملون • ـ العنكبوت ١ ـ ٧ ـ

وكانت المعادلة التي تحكم حياتهم هي : « انا مسؤول ، اذن انا انسان » •

ولو ان الجميع كانوا يتقاعسون ، كــان الواحد منهم يمضي في تحمل مسؤولياته لا يلوي على شيء •

وكان شعارهم : « قـل ان كـــان اباؤكم ، وابناؤكم ، واخوانكم وازواجكم ، وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومســـاكن ترضونها احب اليكم مـــن الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » ـ التوبة ٢٤ ـ ٠

ولقد طبق المسلمون هذه الاية الكريمـة في حياتهم ٠ فلم تمنعهم قراباتهم ، ولا اموالهم ولا مساكنهم مـــن تحمل مسؤولياتهم ، والجهاد في سبيل الله تعالى ٠

وهذه نماذج من ذلك :

كان مصعب بن عمير ، شابا جميلا ، ومحبوبا ، ومـن عائلة ثرية من اشراف مكة ٠

ولم يكن في مكة كلها مـن ينافسه على ذلـك كلــه ٠ ولذلك فان كل فتاة في مكة كانت تتمنى ان تصبح زوجة له ، فلا يمر في حي من الاحيـاء الا وترمقـه عيـون النسـاء ، ويسترعي منظره ساكنيها ٠٠

وجاء الاسلام !

والتف حول الرسول احرار مكة ، وبعض فقرائهـــا ، وتكون في دار الارقم بن الارقم أول مجتمع اسلامي ، حيث

كان رسول الله (ص) سيده ، ومؤسسه ٠

وسمع ابن « الدلال » و « الترف » عن النبي ، ورسالته فجاء اليه ، واخذ يسمع منه (ص) اليات بينات ، ففكر فيها ، ورأى فيها النور الذي كان يفتقده في حياة البذخ والترف ٠ فاسلم !

وترك ــ بعد ذلك ــ حياة البذخ والترف ، ليعيش كأي فرد مسلم بعيدا عن فخفخة الحياة ، مع الفقراء الذين كانوا حول النبي (ص) يلبسون أخشن الملابس ، ويأكلون أجش المأكل ، ويسكنون في أكثر البيوت تواضعا وحين أنضم اليهم مصعب ، بدأ يعيش كما يعيش بقية المسلمين ٠

لمــاذا ؟

لان الاسلام يبدأ بالنفس قبل ان يبدأ بالاخرين ٠ وهو ضد كل ما هو مظهر من مظاهر الاثرة ، والترف ، والاسراف والتبذير ٠

وايمان مصعب كان ايمانا صادقا ، فبدأ بنفسه ، وخلع عنها اثار الشــرك ٠ ودخل في تأمــلات عميقة فــي الكون والحياة ٠

وشعرت أمه بتغيير كبير فــي نفسية ولدها ٠ ولكنهــا

لم تستطع ان تكتشف السر حتى أخبرها احد المشركين بـأنه رأى « مصعبا » وهـــو يدخـل دار الارقم حيث كـــان النبي هناك يلتقي بالمسلمين ٠

وبدأت عائلته تضغط عليه ، بل وعمدت أمه الى حبسه ولكن هل يمكن للسجن ان يمنع عيني المؤمنين مـــن رؤيـــة التاريخ والمستقبل ؟

قاوم مصعب الضغوط ٠٠ وفر من سجن العائلة، وكان فيمن هاجر الى الحبشة ، وعاد منها الى مكة ، وهو نحيـل الجسم ، فقير المظهر ، عليه ثياب ممزقة ، فلما راه اصحاب النبيّ نكسوا رؤوسهم ، حيث لم يكونوا يملكون شيئا يعطونه لــــه ٠٠

لما رأه النبي رحب به ، وقال :

ـ « الحمد لله الذي يقلب الدنيا باهلها ٠ لقــد رأيت مصعبا وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويـــه منه ، ثـــم أخرجه من ذلك النعيم الرغبة في الخير ، وحب الله ورسوله

وحينما طلب منه النبي ان يـذهب الى « يثرب » لكــي يحولها الى مدينة للرسول ، لم يقل « غيري »و « الاخرون » و « أنا اصغر من ذلك » و « الا يوجد من هو أولى » بل تحمل

مسؤليته ، وجاء الى هناك وأدخل الكثيرين في الاسلام ، وجعل من « يثرب » : التي كانت مدينة الصمت والمرض والاستسلام ، عاصمة الاسلام التي تضج بالنشاط والحركة ٠

وهاجر النبي الى المدينة ، ووقعت معركة بدر ، فوقف مصعب في صفوف المسلمين يقاتل قتال الابطال ، وانهزمت قريش ، ووقع أخوه أسيرا بيد أحد المسلمين ، فمر عليه مصعب ، وقال لزميله المسلم :

ـ شدد عليه ، فان امه في خير ٠٠

فقال له أخوه :

ـ « أهذه وصيتك في أخيك ؟

فأجابه مصعب :

ـ «والله انه (وأشار الى زميله المسلم) أخي ، دونك !

ووقعت معركة احد ٠ وأنهزم المسلمون ، وكانت الراية بيد مصعب ، فضربت يده اليمنى فقطعت فأخذ الراية بشماله فضربت ايضا ، فضم الراية الى صدره فضربوه بالرمح ، واردوه قتيلا ٠٠

وحينما جاؤوا بجثته الى النبي قال وهو يخاطبها :

ـ « لقد رأيتك بمكة ، وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منك ، ثم أنت مشعث الرأس في بردة »؟

لان المسلمين لم يجدوا ما يدفنون به مصعب الا بردة قصيرة كلما غطوا بها رأسه خرجت رجلاه وكلما غطوا رجليه خرج رأسه ٠ !



ثلاثـــة

تغيير في الاخلاق · فالاسلام أعتبر نفسه مسؤولا عن الاخلاق والفضيلة ، والتقوى ، قبل أن يعتبر نفسه مسؤولا عن الزراعة والصناعة والتجارة ··

فالاسلام هو دين « الايمان والعمل الصالح » اي انه دين شامل لكل جوانب حياة الانسان ·· فهو ليس مبـدءا سياسيا فقط لكي تهمه الجوانب السياسيـة مـن نشاطـات الانسان وحدها ، ولا هو مجموعة قواعد عبادية فحسب لكي يعتني بالطقوس العبادية وحدها ··

ولكن « دين » كامل يعتني بكل صغيرة وكبيرة من حياة الانسان ··

ولان الاسلام كذلك ، فقـد اعتنى بأخـلاق المسلمين ، وعلاقتهم ، وزرع فيهم ـ بالاضافة الـى الرؤيـة الكونيـة والشعور بالمسؤولية ـ **بذور الاخلاق الرفيعة** ، والعـادات الشريفة ··

فما هي الاخلاق ؟

الاخلاق هي : التواضع ـ الحلم ـ العدالة ـ الكرم ـ العفو ـ الشكر ـ الوفاء ـ الصدق ـ الامانة ـ الاستقامة الحياء ـ الامر بالمعروف ـ النهي عن المنكر ـ ، وما شابه ذلك .

وكل هذه الصفات الكريمة ملازمة بشكل طبيعي للتقوى التي هي **لباب الاسلام** .

يقول القرآن الكريم :

ـ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » ـ البقرة ١٩٧ ـ

ـ « وان تعفوا اقرب للتقوى » ـ البقرة ٢٣٧ ـ

ـ « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ـ المائدة ٢ ـ

ـ « أعدلوا هو أقرب للتقوى » ـ المائدة ٨ ـ

ـ « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » ـ الحج ٣ ـ

ويقول :

« اولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » ـ البقرة ١٧٧ ـ

ـ « بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين
ال عمران **٧٦** ـ

ـ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين
التوبة ٤ ـ

ـ « فاصبر ان العاقبة للمتقين » ـ هود ٤٩ ـ

ـ « تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » ـ القصص ٨٣ ـ

فاعتبر القران « العفو » و « التعاون » و « العدل » و
« تعظيم الشعائر » و « الصدق » و « الوفاء بالعهد » و
« الاستقامة » و « الصبر » من صفات المتقين ، كما ركز على
ان الجنة انما هي لكل من لا يجد التعالي في الارض على
الناس ولا يمارس الفساد ..

ولقد نجح الاسلام فعلا في تكوين مجتمع اسلامي
فاضل يعتمد على الاخلاق .. واليك امثلة على ذلك .

١ ـ كان المسلمون يعرفون بين الامم باخلاقهم الرفيعة
وعلاقتهم الانسانية مع الاخرين ..

وكان الواحد منهم اذا احس انه قد ابتعد قليلا عن
الاخلاق الحميدة ، يسارع الى تهذيب نفسه .

هذا هو « محمد بن مسلم » رجل ثري ، وكبير ، ومن عائلة معروفة ، يشعر بانه يحتاج الى تركيز صفة المتواضع فيأتي الى الامام الباقر ـ خامس أئمة أهل البيت «ع» فينصحه الامام بان يقوم « بعمل » يعيد اليه هذه الصفة الحميدة . فيعود الى الكوفة ويشتري مقدارا من التمر ، وحصيرة ، وميزان ، ويجلس على باب احد المساجد ، ويبدأ ببيع التمر. فيأتيه بنو قومه ، ، ويطلبون منه ان يترك هذا الامر لانهم اعتبروه مشينا له ، ولكن يرفض قائلا :

ـ « ان الامام الباقر امرني بالتواضع ، ووالله لن أترك هذا الامر حتى أبيع كل هذا التمر !

٢ ـ في العدالة ، كان الواحد منهم يعمل بها ويأمر بها ويحاول تحقيقها .

هذه امرأة وأسمها سودة بنت عمارة الهمدانية تقول : « لقد جئت أمير المؤمنين عليا (ع) في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا ، فصادفته قائما يصلي ، فلما رآني انفتل من صلاته ، ثم اقبل علي برفق ورأفة وتعطف وقال :

ـ « ألك حاجة » ؟

قلت :

ـ « نعم .. » واخبرته الخبر .

فبكى طويلا ، ثم رفع طرفه الى السمـاء وقـال : ـ

اللهم انت شاهد علي وعليهم ، واني لم آمرهم بظلم خلقك »

ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها :

ـ « بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جائتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسـوا الناس اشيائهم ، ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها . ذلكـم خير لكم ان كنتـم مؤمنين · فاذا قرأت كتابي هذا ، فاحتفظ بما في يدك مـن عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام » ·

ثم دفع الرقعة الـي ، فجئت بالـرقعة الـى صاحبه ، فانصرف عني معزولا !

٣ ـ في العفو ، والاعراض عـن الجاهلين ، كـان المسلمون مضرب المثل ··

هذا هو الامام الباقر ، كبير اهل البيت في زمانه ، يأتيه رجل ويقول له ،

ـ « انت بقر » !

فيقول الامام في هدوء :

ـ « أنا باقر » ··

يقول الرجل :

ـ « أنت ابن الطباخة » !

فيقول الامام :

ـ « تلك مهنتها » ..

يقول الرجل :

ـ انت ابن المرأة الزنجية البذيئة اللسان »

فيقول الامام :

ـ « ان كانت كما تقول غفر الله لها . وان لم تكن كما تقول غفر الله لك » !

* * *

جاء في التاريخ : ان الامام الصادق «ع» قال لبعض تلاميذه :

ـ « أي شيء تعلمته مني ؟ »

فأجاب :

ـ « ثمان مسائل »

قال :

ـ « قصها علي لأعرفها » ٠

فقال :

ـ « الاولى ـ رأيت كل محبوب يفارق محبوبـــة عند الموت ، فصرفت همي الى من لا يفارقني وهو فعل الخير ٠

« الثانية » رأيت قومـــا يفتخرون بالحسب واخريـن بالمال والولد ، فرأيت الفخر العظيم في قولـــه تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكـــم » فأجتهدت ان اكـــون عند الله كريما ٠

« الثالثة » رأيت الناس في لهوهم ، وسمعت قولـــه تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى » فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتى استقررت على طاعة الله ٠

« الرابعة » رأيت كـــل مـــن وجد شيئا يكرم عنده ، اجتهد في حفظه ، وسمعت قوله تعالى :

« من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه لـــه وله أجر كريم » فاحببت المضاعفة ولم أر أحفظ مما يكون عنده فكلما وجدت شيئا يكرم عندي وجهته اليه ليكـــون ذخرا لي

وفت حاجتي اليه ·

« الخامسة » رأيت حسد الناس بعضهم لبعض وسمعت قوله تعلى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجـات ليتخذ بعضهم بعضـا سخريا ، ورحمة ربـك خير مما يجمعون » فلما عـرفت ان رحمة الله خير مما يجمعون ، مـا حسدت احدا ولا تأسفت على ما فاتني لانه ليس من رزقي ، وما هو رزقي ما فاتني ·

« السادسة » رأيت الناس يعاند بعضهم بعضبا في دار الدنيا ، وسمعت قوله تعالى : « ان الشـيطان لكم عدو » فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره ·

« السابعة » رأيت كـدح الناس واجتهادهم في طلب الرزق وسمعت قوله تعالى : « ومـا خلقت الجن والانس الا ليعبدون »··« ما أريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون » « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » فعلمت ان وعده حق وقوله صدق فسكنت الى قوله ووعده ·

« الثامنة » رأيت قوما يتكلمون على أبدانهم وقوما على كثرة أموالهم ، وقوما عـلى خلق أمثالهم ، وسمعت قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل عـلى الله فهو حسبه » « ان الله بالغ

أمره قد جعل الله لكل شيئا قدرا ·· **فتوكلت على الله وزال** اتكالي عن غيره » ··

فقال له الامام الصادق : ـ **احسنت والله** ·

وهكذا نجد ان السؤال كان هو : « ما الذي تعلمت » بينما جاء الجواب : « مسائل اخلاقية » ··

* * *

هذه هي الاسباب التي كانت وراء تقدم المسلمين ونجاحهم :

١ ـ الرؤية الكونية

٢ ـ الشعور بالمسؤلية ·

٣ ـ تملك الصفات النبيلة والاخلاق الرفيعة ·

* * *

ولكن ··

هل لا زلنا نملك هذه الاسباب ؟

وان لم يكن الجواب ايجابيا فهل نحن ممن قال الله

عنهم : « فخلف مـن بعدهم خلف اضاعـوا الصلاة واتبعوا الشهوات » ؟

او الذين قال عنهم : « فخلف من بعدهم خلف ، ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذه الادنى ، ويقولن : سيغفر لنا ، وان ياتيهم عرض مثله ياخذوه !· الـم يؤخـذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ، ودسوا مـا فيـه ؟ · والدار الاخرة خير للذين يتقون ، افلا تعقلون » ؟ ـ الاعراف ١٦٩ ـ ·



الاسلام ..

هل يعود الحياة ؟



اجرت مجلة « المـواقف » حـوارا مـع العلامة السيد هادي المدرسي حول مختلف القضايا الحياتية ٠

ولقد قدم مندوب المجلة ، للحوار بمقدمة قال فيها :

« الفكر الاسلامي اليوم وهو يعيش مرحلـــة بعثه من جديد ـ بعد ان كلسته التحركات المقصودة ، ومن جبهات عدة من أجل ان تتخضم على حساب حصره ضمن دفـات الكتب وتكايا المكتبات ـ والســبب واضح ، ففي حياة ـ الفكر الاسلامي ـ موتها ، وفي موته حياتها ٠٠

وتأتي هذه الانبعاثة بعد مرحلة الوعـــي السليم مـن جهة ، وبعد معايشة الاحداث الكبرى التي هزت ضمير الامة وإعادتها الى اصالتها ٠٠ فعادت الى الفكر تريـــد احياءه وهي تلف حقائب العودة الى الاصالة كان لا بد ان يمدهـا الله بطاقات عاملـة مفكـرة تكـون الريـادة ٠٠ وتتحمــل الامانة ٠٠

ومن هذه الطاقات الكبرى التي تأتي على راس الهرم الفكري ، ياتي المفكر الاسلامي السيد هادي المدرسي ، الذي أعطى فكره حتى الان ما يقارب الخمس والثلاثين دراسة وهو بعد في مرحلة الشباب وفي امسية هادئة يدور بيننا هذا الحوار : »

وتعميما للفائدة اثرنا نشرة في كراس • ومن الله نستمد العون •

« الناشر »



الدين .. هل يقود الحياة ؟

● هل يستطيع الدين ان يقود المجتمعات البشرية الى ما فيه الخير والصلاح ؟

جواب :

ـ اننا نتصور ان الدين شيء خارج عن الحياة وبعد ذلك نتساءل : هل بامكان هذا (الخارج) ان يقود المجتمعات او لا .. ؟ ولو درسنا الدين دراسة وافية وكما هو ، لا كما نحن نعتقد بالنسبة اليه ، لعرفنا ان الدين انما هو عبارة عن الطريقة الصحيحة لممارسة الحياة في جميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفردية ، وما شابه ذلك ، فالدين ليس شيئا متطفلا على الحياة ، بحيث نستطيع أن نفترض ان الحياة من غير الدين حياة سليمة ، وان الايديولوجيات الاخرى تستطيع ان تقود الحياة ثم نتساءل : هل الدين الذي هو منافس لبقية الايديولوجيات والنظريات يستطيع أن يقود الحياة اولا ..؟ بينما الصحيح ان الدين لا بديل له .. الدين لا منافس له ، وذلك لان الدين عبارة عن ـ

كتالوج الحياة ـ وضع هذا (الكتالوج) خالق الحياة ٠٠

فالله سبحانه وتعالى خلق الحياة والانسان ثم امره ان يمارس الواجبات الاجتماعية والفردية في داخل الحياة ووضع له طريقة ممارسة هذه الحياة ، وطريقة الممارسة هذه هي الدين بما في الدين من فلسفة ومبادىء وقوانين وواجبات شخصية واجتماعية ٠

ونحن نجد من خلال التاريخ ـ وهو أفضل معلم لمن أراد ان يكون أفضل تلميذ ـ أن المجتمعات عندما كانت تقاد من قبل الدين كانت مجتمعات سليمة جدا ٠٠

ان المظاهر الموجودة الان في الحياة قد تكون مظاهر جميلة ، ولكن هل الحياة التي نعيشها الان هي حياة ٠٠؟!
قد نجد في دولة من الدول مظاهر جميلة ، ولمن الانسانية ٠٠ البشرية ٠٠ الحياة ككل لا تكون في خير وسعادة ، لان المظاهر الموجودة في هذه الدولة انما هي على حساب انسانية الانسان ٠٠

كمثال على ذلك ٠٠ عندما نذهب الى دولة اوروبية نجد مظاهر جميلة جدا ٠٠ الحضارة المادية جميلة في مظاهرها يتبرجها ٠٠ زينتها ٠٠ ولكن هذه الزينة تظهر بشكل قبيح جدا عندما يحكم الرجل الاوروبي منطقة خارجة ٠٠

قد تجد في بلدة أوروبية أن القانون هو الذي يسود ..
فتجد مثلا أنك لو أوقفت سيارتك في مكان ما وجاءت سيارة
واصطدمت بسيارتك وأنت غير موجود نجد السائق يخرج
من سيارته ويضع عبارة « متأسف لقد صدمت بسيارتك ،
ويمكنك الاتصال برقم كذا لكي ادفع اليك ما ترتب على
الصدمة » .. ولكننا نجد نفس هذا الرجل عندما يستعمر
منطقة ما ، يقتل الالاف ولا يهمه شيء .. وهذا يدل على أن
الحياة قد تقاد من قبل النظريات الاخرى ولكنها لا تكون حياة
الحياة ككل .. الانسانية ككل .. لا يمكن قيادتها عن طريق
غير الدين ..

● هناك بعض الشباب يعتقد ان الدين لا ينفع او لا
يستطيع ان يقود الحياة ، وقناعتهم هذه نابعة من ممارستهم
للطقوس الدينية ، وأيضا من أن الدين الذي يمارسونه لم
يكن قد دفع لهم في يوم من الايام أي شيء .. فما تفسير
ذلك ؟

جواب :

ـ الحقيقة الاولى التي يجب علينا أن نعترف بها هي
أن دين الله كما أرسله الله غير مفهوم حتى الان لقطاعات
كبيرة من الناس ، وخاصة الشباب . والمعروف عن الدين انما
هو أجزاء متناثرة ولو أخذنا منه هذه الاجزاء بذاتها ، قد لا
تكون مفيدة .

ان مثل الدين مثل خرائط كاملة توضع لبناء عمارة أو سيارة أو صناعة شيئا من الصناعات هذه الخرائط يجب ان تنفذ بحذافيرها حتى تعطي النتيجة المطلوبة ٠ اذا اخذنا خريطة عمارة مثلا ، لا يمكن ان نصنع عمارة من هذه الخريطة الا اذا نفذناكل مفي االخريطةمن اساسوجدرانوغرفوأبوابوشبابيك ومرافق صحية ٠٠ ولكن لو جاء رجل وعمل بهذه الخريطة ، ولكن بجانب واحد منها فقط ، مثلا بنى جدرانا من غير غرف وأبواب وشبابيك ٠٠ والنتيجة التي تحصل من تطبيق جزء واحد من الخريطة اننا ليس فقط لا نحصل على العمارة ٠ وانما نخسر في نفس الوقت ، ونشوه وجه الأرض التي لم يكن عليها شيء قبل ذلك ٠٠

فالاسلام المعروف لدينا والمطبق في مجتمعاتنا هو جزء بسيط من الاسلام الشامل ٠٠ يعني نحن لم نطبق الاسلام ككل ولذلك لم نحصل الا على خسارة وهذا شيء طبيعي ٠٠ فالله تعالى يقول في القران الكريم :

« افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون » ٠

فنظرة بعض الشباب نابعة من هذا العطب في تطبيق الاسلام ، فلو ان رجلا صلى فقط وصلاته هذه لم تكن جزءا من ممارسات أخرى في الحياة مثلا ، فلم يكن لصلاته مثلا ،

اي المتباط بالزكاة ‥ ولم يكن لصلاته ارتباط بالتضحية ‥ ولم يكن لصلاته ارتباط بالتربية داخل بيته ، فانه بعد طول السجود والركوع يجد أنه لم يربح شيئاً وانما خسر الدنيا ايضا . وهذا صحيح ... بينما نجد الاسلام عندما يفرض شيئا معينا يفرضه مع ملابساته ، ففي القران الكريم أكثر الايات التي تتحدث عن الصلاة تتحدث في نفس الوقت عن الزكاة واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ فالاسلام كل لا يتجزأ . الكل اذا طبق تحصل نتيجة ، أما اذا طبقنا الجزء ، ولم نطبق الاسلام في كافة الجوانب فاننا سنحصل على نتيجة عكسية تماما ‥

فالانسان اذا اراد أن يفهم هل الاسلام يستطيع أو لا يستطيع أن يقود الحياة ؟ عليه أن يطبق الاسلام في كافة الجوانب ‥ عليه أن يفهم أن الدين خريطة متكاملة لها أجزاء متعددة ‥ هذه الخريطة لو وضعت موضع التنفيذ فانها تصنع المعجزات . يقول هكذا التاريخ : فافريقيا مثلا عندما دخلها الاسلام ‥ وطبق فيها ‥ كانت تعاني كثرة المواد الغذائية وانعدام الفقر ‥ بينما الان في عصر الحضارة المادية الحديثة نجد ان من بين كل احد عشر طفلا يولدون فيها لا يبقى منهم بعد سنة واحد الا طفل واحد فقط بسبب المجاعات المخيفة ‥

ماذا ينقصنا كعرب ؟

● **ما الذي ينقصنا نحن كعرب في حياتنا ، وما هو الحل الذي يطرحه الاسلام لسد هذا النقص ؟**

جواب :

ـ ان البلاد الاسلامية ككل ، والبلاد العربية كجزء منها لا تنقصها الموارد الاولية ، ولا ينقصها المخزون البشري ، ولا ينقصها الموقع الاستراتيجي ، وانما الذي ينقصها هو ايجاد نوع من الفهم للحياة ، ثم الفهم لقدرة الانسان ودوره في الحياة، ثم ايجاد نوع من التعاون بين أفراد الامة الواحدة ليس من خلال صيغ فوقية تفرض عليها ٠ وانما من خلال دوافع شخصية تدفع الفرد الى أن يترابط مع أخيه ، بالاضافة الى ذلك نحتاج الى تطوير ما نملك ٠٠ والاسلام يعطي حلولا جذرية وليست سطحية لهذه الاشياء ٠

فأولا ـ نجد ان الاسلام يركز على ان الكون خلق لاجل الانسان ٠ ثم يركز على أن الانسان هوالفاعل الوحيد فيالحياة بعد الله تبارك وتعالى أي أن الله خول ارادته للانسان ٠٠ فالله يريد اذا اراد العبد ، أما اذا امتنع العبد فالله يمتنع وهذا فضل من الله تبارك وتعالى ٠٠

الاسلام يدفع الانسان الى أن يفهم نفسه كمخلوق خلق له الكون كما يصرح القران الكريم في ايات كثيرة ، ثم يأمره أن يستغل ما تحت يديه ويعمل على تطويره ، لذلك نجد القران الكريم يقول : **(ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله)** يعني لا تحتم انني سأصنع غدا الشيء الفلاني ، فلعله يأتي الغد فيكون شيء اخر أهم مما كنت تراه

ثم من حيث التعاون نجد الاسلام يوجد الاخوة الفردية والاجتماعية بين أبناء الامة الواحدة (انما المؤمنون أخوة) ليس فقط يقول هذا الكلام ، وانما يفرضه في الواقع العملي كما صنع النبي ، حيث جاء بنظـام الاخـوة ، فـاخى بين المهاجرين والانصار وبين المسلمين بشكل عام ، وجعل كـل فرد مسؤولا عن عدة افراد في القضية المشهورة كما اخـى بينه وبين الامام علي عليه السلام .

وجعل الجار مسؤولا عن جاره ـ ما امن بي من بات شبعانا وجاره جائع ـ وجعل حق الجوار لاربعين بيتا .. فربط الفرد بالفرد والجار بالجار ، والبلد بالبلد ، والقارة بالقارة .. هذا ما فعله الاسلام من خلال تاريخه . فالطوائف والقوميات كلها صهرت في بوتقة واحدة من خلال العدل الذي كـان يحكمه الاسلام .. الاتراك والاكراد والعرب والفرس كانوا كلهم يشكلون أمة واحدة مع أن الاسلام كله لم يكـن ، بل كان المطبق من الاسلام بمقدار ٥٠ ٪ لكن فـي جميع الجوانب ٥٠ ٪ ، من السياسة الاسلامية ٥٠ بالمائة من الاقتصاد الاسلامي ٥٠ ٪ ، من التربية الاسلامية ، وهكـذا استطاع ان يخلق من أمم متناثرة أمة واحدة ..

ثم عندما ابعد الاسلام عن الحكم بنسبة ٩٩ ٪ وجدنا

ان نفس هذه الدول التي انصهرت في بوتقة واحدة ، عادت مرة ثانية في صور دويلات وطائفيات وقوميات ليست فقط مختلفة وانما متحاربة .

★ ★ ★

الاسلام ومتطلبات العصر

● **هل بامكان الاسلام أن يتماشى مع العصر الحديث في كل تحركاته وقفزاته ، ويغير احكامه حسب الظروف ، فيحذف الحجاب مثلا ٠٠؟**

جواب :

ـ هناك أشياء أساسية في الاسلام هي في الحقيقة أشياء أساسية في الحياة ٠٠ وهناك أشياء تتغير حسب الظروف ٠٠ الاشياء الاساسية غير قابلة للتغيير لان الحياة بذاتها تعتمد على خط ثابت وخط متغير ٠٠ الخط الثابت لا يمكن تغييره في الاسلام لانه لا يمكن تغييره في الحياة ٠٠ المرأة تبقى أمرأة ، تبقى جاذبة للرجل ، تبقى مثيرة للشهوة ، سواء قبل الف سنة او بعد الف سنة ٠٠ فاذا افترضنا ان المرأة كشفت عن نفسها بارادتها وترتب على هذا الكشف والعري مساوىء كثيرة ٠٠ فلا يجوز لنا ان نطالب الاسلام بأن يحذف الحجاب ما دام الحجاب ضروريا ٠٠ لان الحياة

تحتم علينا أن نحفظ المرأة لانها مثيــرة للشهوات ومثيــرة لتحرك مضاد من قبل الرجال ·· قبل الف سنة كــان التجار يحفظون اموالهم في اماكن مستورة ، واليوم يحفظونها في البنوك ، وبعد الف سنة سيحفظونها في أماكن مأمونة ·· فلا يمكننا ان نطالب الناس بأن لا يحفظوا اموالهم لان جماعة من الهبيين أو المجانين بدأوا ينثرون اموالهم في الشوارع ··

هذه الاشياء الثابتة في الحياة ــ التي منها قضية المرأة لا يمكن أن نطالب الاسلام بأن يغير رأيه فيها ، لانه اذا غيرنا رأي الاسلام في هذه الاشياء سوف تعود الحياة غابــة من الغابات ··

مثلا حاجة الانسان الى « المأوى » ، حاجة اساسيــة لا تتغير ، ولكن المأوى قد يكون في شكل كهف ، وقد يكــون في شكل كوخ ، وقد يكون في شكل بيت ، وقد يكون في شكل فيلا ، وقد يكون في شكل بناية من ١١٠ ــ طوابق ·

المهم ان الانسان بحاجة الى « المأوى » ، هذا امر ثابت وأساسي ، ولكن الشكل يتغير ··

اذن ، او جاءت في الاسلام احكام تتعلق بالمأوى ، مع قطع النظر عن شكله ، فانها لن تكون قابلة للتغيير ، اما اذا جاءت احكام تتعلق بالشكل فانها احكام قابلة للتغيير ·

ان التطور ، مهما بلغ لن يلغي اطلاقا حاجة الانسان الى المأوى ، فلا يجوز ان يقال : ان الانسان صعد على القمر، وارسله بريده الى المريخ ، فلماذا لا يزال يبحث عن المأوى ؟

وهكذا في الامور الاساسية ، والحاجات الطبيعية في الانسان، فان احكامهم الاسلامية،والقوانين المتعلقة بها لا تقبل التغيير ٠

ان كل انسان مركب من ارادتين ، ارادة الخير وارادة الشر ٠ نفس امارة بالسوء ، ونفس لوامة ٠ ولا بد من تأكيد ارادة الخير فيه ، وردع ارادة الشر ٠

وهذا لا يختلف بزمان دون اخر ٠

ان المجرم لا بد من ان يدفع ثمن جريمته ، ولا بد أن يقدر المحسن على عمله ٠

وهل هذا ايضا قابل للتطور ، بان نطالب بمعاقبة المحسن ، والاحسان الى المجرم ، لان الانسان اخذ يركب الطائرة ، والصاروخ بدل البغال والحمير ؟

ان البعض الذي يطالب بان نغير الدين ، أو الذين يقولون ان الدين لا ينفع لهذا الزمان لانه نزل في عصر كان يلبس الناس العمامة والجبة ، ويركبون الحمير ، ويعيشون

في الاكواخ ، والان يلبس النـاس الثيـاب · أو البنطلون · ويركبون السيارات ، ويعيشون في الفيلات ·

هؤلاء لا يعرفون ما هو الدين ؟

ان الدين : علاقات انسانية · واخـلاق · وقوانين · نأخذ في اعتبارها اساسيات التركيب البشري · **فهـل يجب ان يتغير ؟**

هـل يجب ان يرفض الصـدق ، لان الله حين قـال : « **يا ايها الذين إمنوا اتقوا الله ، وكونوا مـع الصادقين** »· وقال : « **لعنة الله على الكاذبين** » ، كان الناس يبنون بيوتهم من الطين ، والان يبنونها من الحديد والاسمنت ؟

هل يجب ان نرفض الاخلاص · لان الاسلام يوم دعى اليه لم يكن الانسان قد اخترع الراديو ، والتلفزيون ، امـا الان فانه قد اخترع ذلك ، فلا يجب ان يكون الناس مخلصين؟

ان الاسلام « حق » والحق لا يتغير من زمان لزمان ومن مكان لمكان ·

مثلا اشباع الجائع حق ، وارواء العطشـان حـق ، واكساء العاري حق ، وهذا لا يتغير من زمان لزمان ، فـلا يجوز ان تقول : ان الجائع كان يجوز له ان يشبع قبل الف

عام ، اما الان فلا يجوز له ٠ أو ان العطشان كان يحق له ان يروي عطشه فـي زمن البغــال والحمير ، والان تغيـرت الاوضاع ، فلا يحق له ذلك ٠٠

أو مثلا ان الشـهوات في الانســـان ، طاغية لا تقبل التوقف عن حد ، اذ انها لا تشبع ، فلا بد من تحديدها بحدود مادية خارجية وحدود عقلية ارادية داخلية ٠

هذا لا يتغير من زمان لزمان ، او من مكان لمكان ٠

لانه من الاشياء التي لا تتغير ، بتغيير الزمان ٠

أما في الاشياء المسموح فيها بالتغيير اي التـي تتغير فيها الحياة مثل: نوعية اللباس ونوعية المسكن ،ونوعية المأكل وطريقة الحياة ، فالتغيير مطلوب فيها ٠٠ فأهداف الحياة لا يمكن التغيير فيها ٠٠ وكل شيء يؤثر عـلى تغيير الهدف لا يقبل بها الاسلام ٠

اما الاشياء التي هي وسائل لممارسة الحياة ، فيمكـن تغييرها ٠٠ يمكن ان نـــركب البغلــــة ، ونــركب السيارة والطائرة والصاروخ وأي وسيلة أســـرع وأحسن وأرفه ، كذلك الملابس والمساكن وغيرها يمكن تغييرها وتبديلها حسب الظروف ٠٠

وهذا ما أوضحه الامام علي عليه السلام حيث يقول :
« لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » ·· يعني لا تقروهم وتجبروهم على الطرق التي مارستموها انتم ·· اتركوا لها الحرية في ان يخترعوا طرقا اخرى ، لا ان يخترعوا أهدافا اخرى للحياة ··



وبعد ·· فالعلامة المدرسي اذ يعطي هذه الرؤية السليمة للحياة بالنسبة للوقائع المطروحة ، انما يؤكد حديثه مقدرة الاسلام الكبيرة في التطيق والتنفيذ ·· وتقدميته التي سوف تبقيه الفكر الوحيد في الساحة ، بعد ان تاوت ايديولوجيات البشرية كأوراق الخريف الجافة ·





فهرس الموضوعات